

الشريف الرضي

هو أبو الحسن ، الشريف الأجل ، الملقّب بالرضيّ ، محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي (عليهم السلام) وأمّه السيدة فاطمة بنت الحسن بن أحمد بن الحسن الناصر الذي يرجع نسبه الى الأمام علي (عليه السلام) ، لذا يُلقب بذي الحسين .

ولد في بغداد بجانب الكرخ سنة (٣٥٩هـ) ونشأ في بيت عزّ وشرف ، وفي بيئة علميّة وأدبيّة ، وتوجّه منذ الصغر مع اخيه الشريف المرتضى نحو التعلّم والتتقّف ، وتتلّمذ على أساتذة أجلاء كثيرين في مختلف العلوم ، ومن أبرزهم أبو سعيد السيرافي النحوي المشهور ، وأبو الفتح عثمان بن جني اللغوي النحوي ، وأبو الحسن بن أحمد النحوي ، وأبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبري الفقيه المالكي ، ومحمد بن عمران المرزباني ، والشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن المعلم ، وابن نباته الفارقي .

سماته الشخصية:

شبّ الشريف الرضي عالماً شاعراً ، طموحاً الى المجد ، نزاعاً الى العلا ، ولعلّه كان يريد الرئاسة لينقذ أمّته من السقوط في الهاوية ، ولا سيما بعد أن هان أمر الخلفاء العباسيين وأصبحوا لعبة بيد الأعاجم ، فهو القائل :

سأخطبها بحدّ السيفِ فعلاً
إذا لم يُغنِ قولٌ أو خطابُ

وكان الشريف الرضي الى جانب ما يحمله من اباء وعزّة وشمم ، موصوفاً بالعقّة والورع والتديّن ، ووُصِفَ ايضاً بالجدود ، وسمت مكانته ، وعلت منزلته عند الخاصّة والعامة ، وقد أمر بهاء الدولة البويهّي أن تكون مخاطباته بعنوان : الشريف الأجل ، ثم خلع عليه لقب الرضي ، وشغل منصب نقابة الطالبيين ، والنظر في المظالم ، وامارة الحجّ ، والنظر في أمور المساجد بمدينة السلام .

و كان الشريف الرضي شاعراً فصيحاً ، كما كان كاتباً مترسلاً ، وإماماً في النحو واللغة والتفسير ، قال الشعر حين بلغ العاشرة ، واستمرّ في نظمه طوال حياته.

صلته بالخلفاء والوزراء

عاصر الشريف الرضي ثلاثة خلفاء : المطيع لله ، والطائع لله ، والقادر بالله ، وكانت علاقته بالطائع (٣٦٣-٣٨١هـ) طيبة ، ولاسيما بعد أن أطلق سراح والده من السجن الذي وضعه فيه (عضد الدولة) تنفيذاً لخطته في القضاء على من يخشى بأسهم على ملكه .

وحيثما جاء القادر الى الخلافة لم تنقطع صلته بدار الخلافة ، بل قدّم مديحه لهذا الخليفة وكسب رضاه ، كانت له صلات ببعض الأمراء والوزراء بحكم مكانته في أسرته ، فمن الأمراء شرف الدولة وبهاء الدولة البويهيين ، ومن الوزراء صاحب بن عبّاد ، وعبد العزيز بن يوسف

آثاره الادبية والعلمية

وكان الشريف الرضي دؤوباً في التأليف والتصنيف ، وقد ترك آثاراً جليّة وقيّمة ، من اهمها :

حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، وتلخيص البيان عن مجازات القرآن ، ومجازات الآثار النبويّة ، وخصائص الأئمة ، وديوان شعره ، فضلاً عن جمعه لرسائل الإمام علي (عليه السلام) وخطبه في كتاب سمّاه (نهج البلاغة).

وفاته

توفي الشريف الرضي يوم الأحد السادس من شهر المحرم سنة (٤٠٦هـ) ، ورثاه ثلاثة شعراء كبار : الشريف المرتضى ، والوزير أبو القاسم الحسين بن علي ، ومهيار الديلمي .

اغراضه الشعرية

المديح

أخذ المديح قسطاً وافراً من شعره . خاصة للكثيرين من أفراد أسرته . وأصدقائه ، وأرباب السلطة وأصحاب السلطان . وقد جاء بعضه خالياً من الصدق وإن ظهر في اطار فخم محمل بحلية الألفاظ . وقد اعترف الرضي نفسه بأنه كان يهذب خواطره في مدح اللئام ، فتأتي المعاني مغلفة بثوب الصدق ، ولعله فعل ذلك دريئة من أذى المتسلطين على الحكم آنذاك قال

فأصدق في حسن المعاني وأكذب

أهذب في مدح اللئام خواطري

إنّ أكبر حادثة أثّرت في نفسه أبلغ الأثر هي سجن أبيه في بلاد فارس (٣٦٩-٣٧٥هـ) ومصادرة أملاكه ، فراح يمدح هذا الأب بقصائد كثيرة ، وحينما أطلق سراحه ، وبارح السجن ، ووصل الى بغداد ، رآه وخفق قلبه ، وانهلّت مدامعه فرحا ، وقابله بقصيدة تتشجح بالسرور .

تنقسم قصائده في مديح والده الى ثلاث طوائف ،الاولى :في التوجع لأبيه في السجن وقد غلب عليها الحزن والجزع والتفجع، والثانية: في تهنئة والده بالخلاص ورد املاكه اليه ويغلب عليها الانفتاح والانشراح، والطائفة الثالثة :في تهنئته بالأعياد بعد ان لان الزمان له وفي هذه المرحلة كان يدخل عليه في كل عيد بقصيدة كما يصنع الشعراء في تحية الخلفاء والملوك، واول قصيدة قالها في والده :

نصافي المعالي والزمان معاند وننهض بالأمال والجد قاعد

إنّ شخصية الرضي بارزة في مدائحه ، تظهر شامخة أبيّة ، تطلب العزّ والرفعة ، وفخره بنفسه ، وزهوه بمقامه وشعره وشجاعته وفروسيته ومضاء عزمه وقوّة إرادته ، كثير في شعره ، على نحو قوله في قصيدة حماسية مطلعها :

نبهتْهم مثلَ عوالي الرماح الى الوغى قبلَ نموم الصباح

فوارس نالوا المنى بالقنا وصافحوا اغراضهم بالصفاح

وقد احسن الدكتور زكي مبارك في قوله : ((أن هذا القصيد خليق بأن يكون نشيد الفتوة العربية، وأهل لأن يحفظه جميع الشبان في سائر البلاد العربية . فهو جذوة من الفتوة وقبس من الرجولة وشهاب من العزم المصمم الذي يطيح المصاعب والاهوال))

الفخر

كان الشريف الرضي يعتزّ بقومه ويفخر بأرومتهم ، ويريد لهم السمو والمقام الرفيع ، ويسمّي نفسه (الفتى العربي) في بعض شعره .

اني لاكم نفسي ان يقال جنى على الفتى العربي الخرد العرب

فهو يريد من العربي ان يكون شجاعا ماضيا مثل سيفه كي لا ينكره الاجداد الذين عرفوا بالشهامة والاقدام والنبيل والغيرة

الغزل

والشريف الرضي الذي كان نَزاعا الى المجد ، يصبو الى الجمال ، ويتغزل بالمرأة الحسناء بقلب رقيق.

إنَّ غزله الجميل المتمثل بقصائده المعروفة بـ(الحجازيات) في غاية الرقة والعذوبة ، قالها في أماكن لا يحلّ فيها الرفث ولا الفسوق ، وقالها وهو نقيب الأشرف وامام الحجّ ، لكنه نفّس بها عن نفثات صدر اضطربت فيه العواطف ، وجاش بها وبفورانها فما استطاع لها كتماننا ، فأرسلها ترانيم تحلّت بصفاء الروح وسمو العاطفة ، فغفر له معاصروه هتافه للجمال واشادته بصيوات نفسه ولوعات هواه .

إنَّ غزله يمتاز بسمو العاطفة ، والوقار والعفة ، الى جانب جمال الانسياب ، وحلاوة الموسيقى ، وهو أقرب فنونه الى البساطة اليدوية التي تتجلّى في شعر العذريين وعشاق الإعراب ، رجالا ونساء ، وفيه نفحة من نفحاتهم في الحنين الى المرباع ومعاهد الصبوات ، وقد سار غزله بين عشاق الأدب وحفظوه وردّدوه في محافلهم ومنتدياتهم ، ومن بديع قصائده الكافية التي عارضها كثير من الشعراء ، وهي :

لِيَهْنَكِ الْيَوْمَ إِنَّ الْقَلْبَ مَرَعَاكِ

يا ظبيّة البانِ ترعى في خمائله

وليس يرويك إلاّ مدمعي الباكي

الماء عندك مبذولٌ لشاربِه

الرثاء

كان الرضي من الشعراء المجيدين في فن الرثاء ، المحسنين في اظهار اللوعة والأسى على الراحلين ، وكثر عنده رثاء أهل بيته، ورثاء الاصدقاء والرؤساء والملوك ، ومن أشهر مراثيه وأصدقها مرثيته لأمه، وكان كثيراً ما يعبر في مراثيه عن آلامه وهمومه ، ويرسل في ثناياها حكما وأمثالا تدلّ على نظرات عميقة في الحياة، قال في رثاء امه:

واقول لو ذهب المقال بدائي

ابكيك لو نفع الغليل بكائي

وَأَعُوذُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَعَزُّبًا لَوْ كَانَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَزَائِي

طَوْرًا تُكَاثِرُنِي الدُّمُوعُ وَتَارَةً آوِي إِلَى أَكْرَامَتِي وَحَيَائِي

كَمْ عِبْرَةٍ مَوْهَنْتَهَا بِأَنَامِلِي وَسَتَرَتْهَا مُتَجَمِّلاً بِرِدَائِي

أُبَدِي التَّجَلُّدُ لِلْعَدُوِّ وَلَوْ دَرَى بِتَمَلُّمِي لَقَدْ اسْتَقَى أَعْدَائِي

مَا كُنْتُ أُذَخَّرُ فِي فِدَاكَ رَغِيْبَةً لَوْ كَانَ يَرْجِعُ مَيِّتٌ بِفِدَاءِي

مميزات شعره

كان الشريف الرضي متمكنا من ناحية القريض في أغراضه كلها ، وهو يجيد عرض فكرته في بناء سليم ، واسلوب رشيق ، وطرح شيق ، ويحسن التوازن والتقابل بين الألفاظ والعبارات ، كما يحسن اتيان التشبيهات والصور في مواضعها ، وتتجلى في شعره روح البداوة ممزوجة بروح الحضارة ، ويتميز شعره بضبط عروضي محكم ، وهندسة موسيقية تدل على رهافة حسه ، وبراعته في السيطرة على نظام البيت الشعري وفق القواعد والأصول.